

تاريخ الإقليم الشرقي لموريطانيا القيصرية من خلال بعض الشواهد الأثرية

أ-إسعون رابح

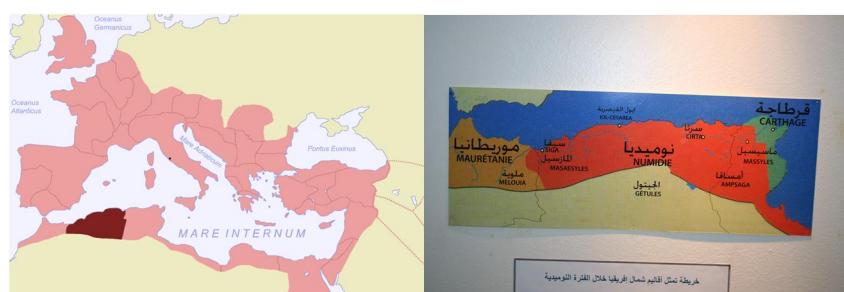
جامعة الجزائر 2

أ- تمهيد :

يعود تاريخ الإقليم المسمى "موريطانيا القيصرية"¹ إلى فترات زمنية سبقت الوجود الروماني في المنطقة ، فإشارتنا إلى هذه المساحات الشاسعة يعود بنا إلى العهد النوميدي و بالتحديد إلى أواخر هذه المملكة التي عرفت صراعات داخلية و خارجية لروما ما جعل يوبا الأول الملك النوميدي يأخذ مساره في هذا التزاع² ، ما استغلته روما بعد هزيمته مع تياره إلى الإستلاء على هذه الأرضي وأخذ ابنه يوبا الثاني إلى روما لتعليميه أسس السياسة الرومانية و مبادئ الاقتصاد و الثقافة، وهذا تمهدا لنصبه على الأراضي النوميدية و الإفريقية القديمة³ و جعل كل هذه المنطقة تحت حكم الملك يوبا الثاني بذور رومانية .

هذه الفترة، تركت لنا بصمات كأدلة قاطعة عن التحولات السياسية و الاقتصادية عن مراحل وجودها رغم التباين السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي عن شعوبها، فإذا حاولنا دراسة المخلفات الأثرية عن هذه المراحل لوجدناها متعددة و المتاحف الوطنية ثرية جدا بالتحف الأثرية عن كل فترة من فتراتها المتميزة بالتباعين حيث أن كل مرحلة تمتاز إما بفترات السلم أو الثورات الشعبية .

وفي هذا السياق نحاول تحسيد المعطيات التاريخية عن هذا الإقليم و التي تأكّد لنا بعض الأحداث التاريخية لكل فترة من خلال البقايا الأثرية المنتشرة في أغلب مناطق موريطانيا القيصرية الشرقية.



العالم الروماني خلال نهاية القرن الثاني

إقليم موريطانيا القيصرية خلال القرن الثاني .

خريطة جغرافية تمثل إقليم موريطانيا القيصرية في العالم القديم

https://fr.wikipedia.org/wiki/Maur%C3%A9tanie_C%C3%A9sarienne#/media/File:Mauretania_Caesariensis_SPQR.png

فترة ما قبل التاريخ :

يعود تاريخ إقليم موريطانيا القيصرية إلى عصور ما قبل التاريخ ، و هذا ما تبيّنه الشواهد الأثرية العائدة إلى هذه الفترة حيث تحدث الباحث "بالو" ، المختص في علوم ما قبل التاريخ ، عن وجود أدلة تتمثل في قطع حجرية و كذلك عظام لحيوانات بين "تمدا" و "عزازقة" على ضفاف "واد سيباو" الذي يصب في سهول المنطقة ، كما تحدث أيضاً عن منطقة"

تاكدامت" الساحلية الواقعة بين دلس والجزائر على ضفاف امتداد هذا الواد و يوجد فيها موقعين أرخهما إلى فترات ما قبل التاريخ⁴.



أحد الممرات المغطاة بمنطقة أث أرهونه ، التي تعود إلى فترة فجر التاريخ حسب الباحث :
Camps (G) , Aux origines de la bérberie ; monuments et rites funéraires protohistoriques.
Paris 1961 P 227

كما تحدثت الدكتورة شايد عن لقى أثرية في منطقة "قادمان" بضواحي أقبو الواقعة بين حدود القبائل الصغرى و الكبرى عن وجود أدلة أثرية من أدوات حجرية و عظام حيوانات تعود إلى عصور ما قبل التاريخ و خاصة إلى عصر الحجري الحديث⁵

الفترة الليبية و البوئية :

أطلقت تسمية "الليبيون" على سكان شمال إفريقيا منذ الألفية الأولى قبل الميلاد في المصادر القديمة ، و قد أكد المؤرخ الإغريقي "هيرودوت" في القرن الخامس قبل الميلاد هذه التسمية ، و تحدث سكان هذه المنطقة باللغة الليبية التي تتواصل أبجديتها و رصيدها اللغوي إلى حد اليوم و الذي نطلق عليه تسمية الأمازيغية المتداولة بكثرة بين سكان القبائل. مدن الشمال الإفريقي⁶ و هذا ما تبينه العديد من المكتشفات الأثرية الموجودة في المنطقة على غرار نصب "أبيزار" الذي يبين كتابة Libya و كذلك رسوم لشخص فوق حصان و كذلك حيوانات ربما يكون الغرض منها ديني أو زخرفي⁷.



بعض الأنصال المعثورة عنها في منطقة القبائل الكبرى ، المحفوظة حالياً
بالمتحف العمومي الوطني للآثار القديمة و الفنون الإسلامية بالجزائر العاصمة.

أما الفترة البونية في هذه المنطقة لا نعرف " بالتحديد تاريخ تواجد المخاطبات التجارية الفينيقية في شمال إفريقيا و بالتحديد في المنطقة "⁸، لكن لترجيحات ترجع ذلك إلى ما بين القرنين الثاني عشر و العاشر قبل الميلاد . كان الفينيقيون من أمهر
البحارة في حوض البحر الأبيض المتوسط حيث انتلقو من سواحل سوريا و لبنان قصد التجارة و بذلك أنشئوا أرصفة
و مراسи تجارية التي تحولت مع الوقت إلى مدن تجارية و في حوالي القرن السابع قبل الميلاد بنوا مدينة قرطاج الواقعة في
تونس الحالية حيث أطلق عليهم الرومان تسمية "البونيين" و هي التسمية التي انتشرت في كل الفينيقيين الذين استوطنوا
شمال إفريقيا ⁹ ، من بين المدن التي أسسواها نستطيع ذكر روسوكورو (دلس) ، روزاسوس (أزفون) ، أيكوسيم (
الجزائر العاصمة) ...



قطعة نقدية تعود إلى الملك ماسينيسا ،
تحمل رأس الملك متوجه إلى اليسار.

قطعة نقدية تعود إلى الملك ماسينسا
و حد الممالك التي مددت ، الكراية تحت

ALEXENDROPOLOS (J), LES MONNAIE DE L'AFRIQUE ANTIQUE ,400AV.-J.C, 40 J-C, Toulouse ,2007 P.420

و في القرن الثالث قبل الميلاد عاش الشمال الإفريقي فوضى سياسية و ظهرت من خلالها مملكتان و هما مملكة نوميديا
الشرقية التي امتدت أراضيها إلى غرب قرطاج (تونس الحالية) شرقاً ، و مملكة نوميديا الغربية التي امتدت أراضيها من
سطيف إلى وهران مروراً بالجزائر العاصمة و سكنها قبائل الماسيسليين و كانوا متحالفين مع قرطاج ، و التي تقع فيها
منطقة القبائل الكبرى ، و قام ماسينيسا بتوحيد الملكتين و هذا سنة 202 ق م و بعد وفاته انقسمت مجدداً و بذلك
اغتنم الرومان الفرصة بعد حرب طويلة الاستيلاء على المنطقة من جهة ، و يجدد الإشارة ، من جهة أخرى ، أن تسمية
موريطانيا كانت تعني أراضي شمال إفريقيا المجاورة للمحيط الأطلسي ، ثم أطلقها الرومان على المملكة التي منحوها
للملك يوبا الثاني ¹⁰ . و كانت تمتد من غرب نوميديا إلى المحيط ¹¹ .



قطعة نقدية تعود إلى الملك يوبا الأول ، من أواخر الملوك النوميديين ، يحمل وجهها صورة للملك بصلجان و أمامه كتابة باللاتينية (REX IVBA) ، او الملك يوبا ، أما في الظهر عبارة عن معبد يثماني أعمدة أمامه كتابة بونية بمعنى مملكة .

ALEXENDROPOLOS (J), LES MONNAIE DE L'AFRIQUE ANTIQUE ,400.AV.-J.C, 40 J-C, Toulouse ,2007.P.452

و في فترة حكم الامبراطور "سيزار" كانت منطقة القبائل تابعة لمقاطعة موريطانيا التي وضعت تحت حكم الملك "بوخوص" تقديرًا لوفائه¹².

و في سنة 25 قبل الميلاد قام الإمبراطور أغسطس بتعيين يوبا الثاني ملكا على موريطانيا الذي ترعرع و درس في روما و الذي اعتبره المؤرخين المؤسس الحقيقي للمملكة عاصمتها "ايوال" المعروفة بالقيصرية¹³، و بعد وفاته سنة 23 م (40 سنة من الحكم) خلفه ابنه بطليموس سنة 39 م إلى أن قتل سنة 39 م على يد الامبراطور الروماني "كاليولا"



من الآثار المحفوظة في المتحف الوطني للآثار القديمة و الفنون الإسلامية ، تمثل هيئة يوبا الثاني بعد تعيينه على أراضي شمال إفريقيا ، قطعة نقدية و نسخة من رأس يوبا الأول من معدن الرخام.

- الفترة الرومانية :

بوفاة الملك يوبا الأول سنة 46 قبل الميلاد و هزيمة حلفائه على يد قيصر ، زالت نهائيا نوميديا و أعلنت أراضيها ولاية رومانية و سميت "إفريقيا الجديدة" . و اعتبر ذلك تمهيدا للاستيطان الكلي للرومانيين في نوميديا و موريطانيا خاصة في عهد أوكتافيوس أوغسطس و بذلك في هذا الوقت(بين القرن الأول والثاني) استوطنوا على امتدادا الشريط الساحلي ، و من أهم المستوطنات : روزوكورو (دلس الحالية) ، روزازوس (أزفون) ، صلادي (بجاية) ..



من آثار الفترة الرومانية للمدن الساحلية ، تموج مدينة تيبازة التي كانت بونية قبل إعادة بناءها في الفترة

"..... إفريقيا كانت بونية أكثر منها رومانية خلال القرن الأول ميلادي و هي رومانية أكثر من بونية خلال القرن الثاني .."¹⁴

تركز الاستيطان الروماني في المناطق السهلية الصالحة للزراعة ، أما المناطق الجبلية فأقاموا عليها التحصينات المتقدمة لمنع تسرب السكان المحليين للمستعمرات.

شيئا فشيئا ، الوجود الروماني يزداد مساحة إلى حد نهوض مقاومات محلية ضدهم ، و في سنة 33 ق م " بوخوص " سلم العرش للرومان و بذلك الأباطرة أغسطس أسكن قدمي الحرب في ثلاث مقاطعات و هي " صلادي " ، توبوسيتو (تكلات) ، روزازوس (أزفون)¹⁵ . و في سنة 25 قبل الميلاد منح حكم موريطانيا القيصرية إلى الملك يوبا الثاني الذي كان تحت مراقبة روما ، و بذلك انتشرت الثقافة الرومانية في المنطقة ، و عند وفاته حول الأباطرة " كلوديوس " المقاطعة إلى مقاطعة رومانية و ذلك بعد مقاومات محلية من طرف السكان بعد مقتل " بطوليسي " ابن يوبا الثاني . و بذلك بدأت توالي الأباطرة على المقاطعة التي تضم منطقة القبائل القبائل و تزداد شيئا فشيئا في الاحتلال الأرضي و خاصة في عهد الأباطرة " أدريان " (117-138 م) و ذلك بتشييد مبانٍ جديدة مع رومنة الأماكن التي يوجد فيها السكان المحليين (و الأنصاب الموجودة في تقرير و تكسابت تعود إلى هذا التاريخ) . امتدت هذه الرومنة في عهد أنطونيوس التقى ، و مواصلتها بهذه الكيفية ، أولد مقاومات محلية و خاصة في سنوات 150 و 160 م . ايونيوم (تقرير) و تكسابت في هذا الوقت كانت محصنة ، و بعد ذلك ظهرت في قبائل الجرجرة منظمة من شعوب مقاومة سميت بـ " كورنكيجوني " (أي الشعوب الخمسة) و ذلك خلال النصف الثاني من القرن الثالث ، و احتمالا أنه في ذلك الوقت شقت روما الطريق الداخلي المحنن بين وادي الصومام و سيباو مروراً بقصر الشابل و قصر كبوش باتجاه أدكار من الناحية العسكرية منطقة القبائل الكبرى توجد في وضعية غير مؤمنة و ذلك لوجودها بين الجبال المقاومة و السهل المستعمرة من طرف الرومان .¹⁶

و في عهد سبتيموس سيفير (198-203 م) واصل الزحف الروماني شمالاً و جنوباً في المنطقة نشير إلى قيام أعمال تهيئة الطرقات و إعادة تهيئه دائرة " دوارك " (قرب أزفون) و كذلك " قصر الشابل " . من جهة المدن تحت السيطرة الرومانية ذكر شواهد عن هذه الفترة في تقرير و تمثل في إهداء إلى الآلهة " جنيو " (معبد المدينة) .¹⁷

في هذه الفترة العديد من الكتابات اللاتинية تعطي صورة حسنة على أهل المنطقة .. كتابة من صلادي (بجاية قديماً) تشرف رجال من المدينة قاموا بطرد الأعداء من الأعلى و أرخت هذه الكتابة إلى الثورة الكبرى التي قامت بها قبيلة كينكجومتاني بمنطقة القبائل تحت حكم ديوكليسيان (بين 290 و 297 م) ..¹⁸ و بذلك دخلت المنطقة أكثر في العالم الروماني و هذا ما جعل أيضاً المدن تأخذ أكثر الطابع الروماني علاقات أهل المنطقة بالروماني جعلت من مدينة تقرير تأخذ العديد من التأثيرات و هذا ما يفسره ايجاد الملحقات كالمعاصر و كذلك الطرق الرومانية و كذلك الاهتمام بالجانب الزراعي حيث عرفت المنطقة بتصدير العديد من المواد الزراعية¹⁹ و لذلك رغم كل العوامل منطقة القبائل تحافظ بالعديد من الآثار العائدة إلى هذه الفترة .

و خلال القرن الثالث عرفت المنطقة العديد من الثورات التي جعلت الرومان يستنجدون بعقل المنطقة لغرض اخمادها و ذلك في حكم الإمبراطور أليكسوندر سيفير "222-235 م" . و في موريطانيا القيصرية كانت الضربات من المناطق التي وصفت أنها رومانية . و في سنة 247 م كانت المقاومة سرقة من أهل منطقة جرجرة لكن عند التقدم انحرموا و عادوا إلى المناطق الجبلية . و بعد بعض السنوات أي اندلعت ثورة عارمة في موريطانيا القيصرية و اتحد الشعوب " ببار " و كينكجومتاني الواقعة في جبال جرجرة و بذلك ظهر الملك المسمى فراكسن و الذي أُغتيل سنة 260 م . و ا溘لت

الثورات إلى حد 270 م حيث وجدت في ايومنيوم "تقزيرت" آثار رماد و هذا دليل على إحراقها . و في سنة 290 م حاول الإمبراطور تهدئة الأوضاع لكن هذا لم يتجاوز في محاولة إعادة استعمار المناطق المحررة .²⁰

و من أجل إبقاء القبائل تحت المراقبة روما اعتمدت أكثر على عقلاء المنطقة و في منتصف القرن الرابع كان حاكم المنطقة المدعو "نوبيل" و عهد وفاته خلفه ابنه "ساماك" و هذا ما جعل أخيه "فرموس" يقوم بمقاومة لعدم ورثة الحكم عن أبيه و ذلك بقتل سamac و ذلك سنة 370 م و قام بثورة عارمة في كل المقاطعة بمساعدة القبائل المحلية كما ساندت الثورة منطقة القبائل و ذلك في "روسوکورو"²¹ و ذلك جعل روما أن تفكر دائماً أن موريطنانيا القيصرية خرجت عن نطاقها . عرفت المنطقة هجمات متتالية على الرومان و مع دخول الوندال عرفت نهاية الروماني في المنطقة .

قائمة المراجع:

¹ تسمية "موريطنانيا القيصرية" اتت بعد تعيين الملك يوبا الثاني على معظم الأقاليم القديمة لشمال إفريقيا و كرد الجميل لروما و لقيصر الذي علم يوبا الثاني على العلم و الثقافة اللاتينية و الإغريقية سميت المقاطعة بالقيصرية نسبة إلى قيسار.

²DJENNAS (M), La Saga des rois numides, entre Carthage et Rome, Casbah-Editions, Alger, 2010, p.191.

³د.الحسيني الحسيني معدى، يوليوس قيصر ،رجل كل العصور ،حياة أسطورية و نهاية مأساوية ،دار الكتاب العربي ،دمشق ، 2013 ص.161

⁴ BALOUT (L) , Préhistoire de l'Afrique du nord ,Essai de chronologie , Paris , Arts et Métiers Graphiques ,1955 P 216-217.

⁵ CHAID (S.Y) , LES MAMIFERES HOOCENES DES GISEMENTS PREHISTORIQUES DE GUEL DAMEN – AKBOU (BEJAIA) ... , Lyon I , 1987 p28 .

⁶ Laporte (J-P) , Langue et écriture libyque » , in catalogue : Algeria au temps des royaumes numides , éd .Art , 2003 PP31-32

⁷ Ait Ali Yahia (S) , « les stèles à inscriptions libyques de la grande Kabylie » , Tizi Ouzou , 2008 p 24

⁸ Leglais (M) saturne africain , Edition CNRS , Paris 1966 p 53

⁹ Menier (M) , Notice sur les ports de Cherchell et de Tipasa, Paris 1910 P 45

¹⁰ Cat (E) , Essai sur la province de la Maurétanie césarienne , Paris , 1910.p 01

¹¹ FERROUKHI (NOS ANCETRE , LES ROIS NUMIDES , édition Dalimen 2009 P 61

¹² LEPPLEY (C), La période romaine :pouvoir et institutions politique , in Algérie Antique , Musée de l'Arles et de provenance antique , 2003 , p 59

¹³ PICART (G-C) , La civilisation de L'AFRIQUE ROMAINE , ED Augustiniennes ,1990 P273

¹⁴ LE GLAY (M) , Les Flaviens et l'Afrique dans Mélanges de l'école Française de Rome , 80 , 1968 ,P 201

¹⁵ LAPORTE (J-P) , « La legio VII et la déduction des colonie augustéennes de Césarienne » , actes de congrès de Lyon , Septembre 1998 P 213 .

¹⁶ LAPORTE (J-P) , ENCYCLOPEDIE BERBERE XXVI , « la Kabylie antique » EDISU , 2004 P 4004 .

¹⁷ Ibid. P 4005

¹⁸ LEPELLEY (C) , ASPECTS DE L'AFRIQUE ROMAINE , LES CITES , LA VIE RURALE , LE CHRISTIANISME , édition EDIPUGLIA Bari 2001 , P 165

¹⁹ Op.sit P. 4004

²⁰ OP.sit P 4008

²¹ IBID P .4009